الصباح الإسلامية
09
العدد 2641 - السنة التاسعة
الأربعاء 15 ربيع الأول 1438 - الموافق 14 ديسمبر 2016
Wednesday 14 December 2016 - No.2641 - 9th Year

الإسلام حفظ حقوق الإنسان وضمن حق المساءلة لكل مسؤول

إن شريعة الإسلام مبنية بناءً متيناً حكيماً لأنها من العزيز الحكيم الحميد فما من مصلحة في الدنيا والآخرة إلا وأرشدت إليه ودلت عليه، ولذا اعتنت الشريعة بحفظ الضرورات الخمس: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فحياة البشر لا تستقيم وأمورهم لا تنتظم إلا بحفظ هذه الضرورات، أليست هي من حقوق الإنسان التي كفلها له الإسلام «فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهذا موقف يبين قيمة الإنسان في الإسلام وأنه ليس بهيمة إنه إنسان سميع بصير جعل الله له حقاً ورأياً وكلمة: أتت ثياب من اليمن فوزعها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على الناس لكل مسلم ثوب وبقي ثوب لأمير المؤمنين فلبسه فوصل الثوب إلى ركبتيه فقال لابنه عبد الله : أعطني ثوبك الذي هو حصتك فأعطاه إياه فوصل عمر ثوبه بثوب ابنه عبد الله ولبسهما وصعد يخطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس اسمعوا لما سوف أحدثكم عنه فيصرخ سلمان الفارسي: والله لا نسمع ولا نعي - رجل يقاطع الخليفة أمير المؤمنين رجل فارسي ليس بقرشي ولا هاشمي ولا عربي ولا هو من قرابة الخليفة

فيقول عمر: ولم؟

فيرد سلمان: لأنك تلبس ثوبين وتلبسنا ثوباً واحداً. أين العدالة؟

فقال عمر: يا عبد الله: قم فأجب

فقام عبد الله والناس سكوت فقال: إن أبي رجل طويل لا يكفيه ثوب فاعطيته ثوبي، فوصله بثوبه ولبسهما.

فهنا قال سلمان: يا أمير المؤمنين الآن قل نسمع ومر نطع.

نعم، إنها حقوق الإنسان إن من حقك أن تعيش محترماً في كلمتك وفي رأيك وفي بيتك وفي مالك، لا تعيش خوفاً ولا بطشاً ولا إرهاباً ولا تخويفاً وهذا ما كفله الإسلام لجميع المسلمين على حد سواء لا فرق بين أبيض وأسود ولا غني وفقير ولا كبير وصغير، الكل سواء في ميزان الإسلام.

فالله تعالى لا يضيع حق كل ذي حق وقد بعث رسله فبينوا الحقوق والواجبات وهاهو نبينا صلى الله عليه وسلم يقف في حجة الوداع ليذكر الناس بحقوقهم وواجباتهم فيقول: أيها الناس إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم»، وهي وصية سيكررها صلى الله عليه وسلم في آخر خطبته تأكيداً لها وإبرازاً لخطورة الاعتداء على الأموال والدماء فيوم عرفة هو يوم الإعلان عن حقوق الإنسان فيه أعلن أبو القاسم صلى الله عليه وسلم حق الإنسان في الحياة وفي الملكية، وفصّل حقوق النساء وأنها إنسانة لها شأنها في المجتمع فهي تمثل نصف الأمة وتلد النصف الآخر إذاً هي أمة كاملة كفل لها الإسلام حقوقها فلها حق العشرة الحسنة وحق التعليم وحق اختيار الزوج وغيرها من الحقوق.

إن الإسلام كفل للإنسان كل حقوقه فانظر لحرمة الكعبة فإن لها حرمة عظيمة ولكن حرمة المؤمن عند الله أشد حرمة من الكعبة.

لم ينفصل التوكل عن معاني قوة الإرادة وبذل الجهد إلا في عصور ضعف الإسلام

المسلم الحق ينأى عن مواطن الهُون ويضرب في فجاج الأرض ابتغاء العزة والكرامة

التوكل الحق قرين الجهد المضني والإرادة المصممة ولم ينفرد التوكل عن هذه المعاني إلا في العصور التي مُسخ فيها الإسلام، وأصبح بين أتباعه لهوا ولعبا ومما يجعل المسلم قويا أن يبتعد عن حياة الخلاعة والفجور، وأن يألف مسالك النزاهة والاستقامة فإن الرجل الخرب الذمة أو الساقط المروءة لا قوة له ولو لبس جلود السباع، ومشى في ركاب الملوك. وقد نصح الله قوم هود فأرشدهم إلى أسباب القوة الصحيحة، وكانوا عمالقة جبارين، فقال: «ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين».

وأراد رسول الله أن يزين الطاعات للناس، وأن يغريهم بأدائها، وأن يشرح لهم عظمة الإنسان عندما يفعل الخير وبرغم الشيطان ويسمو إلى الملأ الأعلى فضرب لهم هذا المثل في سياق حديث له، قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد وتتكفأ فأرساها بالجبال فاستقرت. فتعجب الملائكة من شدة الجبال فقالت: يا ربنا هل خلقت خلقا أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار. قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من النار؟ قال: نعم، الماء قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح. قالوا: فهل خلقت خلقا أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم إذا تصدق صدقة بيمينه فأخفاها عن شماله».

إن الإنسان، هذا الكائن العجيب، يعتبر سيدا لعناصر الكون كلها، يوازن أعتاها وأقساها فيرجحه ويربو عليه، يوم يكون شخصًا فاضلا! ولكنه يلغن في الأرض والسماء اذا انحدر عن الفضائل، والمثل الذي ذكره الحديث ليس إلا إبرازا لقيمة الرجل المحسن وتصويرا لرسوخه وسموه عندما يسبق في ميدان الخير، ومن عناصر القوة أن يكون المسلم صريحا، يواجه الناس بقلب مفتوح ومبادئ معروفة، لا يصانع على حساب الحق بما يغض من كرامته وكرامة أنصاره، بل يجعل قوته من قوة العقيدة التي يمثلها ويعيش لها، ولا يحيد عن هذه الصراحة أبدا في تقرير حقيقة ما. حدث أن كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابنه إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم!! فقام رسول الله يخطب الناس، فقال: «إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله تعالى يُريهما عباده. فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة». ذلك أن الشخص الذي يحيا في الحقائق لا يتاجر بالأباطيل، فهو غني عنها، وصراحته دليل على ثروة عريضة من الشرف، تغني صاحبها عن الدجل والاستغلال، وتقيم سيرته على ركائز ثابتة من الفضيلة والكمال. وقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنبثق من هذا السمو النفسي، لأنها تعتمد على مصارحة بما فرط منهم ابتغاء محوه لتثبت مكانه الصواب والخير.

والذي نريد توكيده هنا أن المسلم يجب أن يكون نقادة للعيوب الفاشية، جريئا في الحملة عليها، لا يتهيب كبيرا ولا يستحي من قريب، ولا تأخذه في الله لومة لائم.. وقد كره الإسلام أن يضعف الرجل أمام العصاة من الكبراء، وأن يناديهم بألفاظ التكريم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قال الرجل للمنافق: يا سيد، فقد أغضب ربه». ماء ويرجحه الذر والهباء يوم يكون شخصا ساقطا. وإنها لجريمة مضاعفة أن ينتهك امرؤ الحرمات المصونة، ثم يستمع إلى من يبجلونه لا إلى من يحقرونه. «ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء». وتحريم الإسلام للغيبة فيه محافظة على رجولة المسلم، وإمساك لعنصر القوة فيه، فإن الشخص الذي يختلس لينفس عن أحقاده في الخفاء بذكر المعايب المستورة أو المعروفة، هو لا شك شخص وضيع. والرجل الذي يأنس من نفسه قوة الاستجابة لدواعي الحق يواجه من شاء بما شاء ولا يتوارى ليطعن من وراء ستار. وليس معنى ذلك أن نُجابه بالسوء من نود مساءاتهم. بل إذا وجدنا في امرئ ما عيبا فنحن بإزائه بين أمور معينة: إن كان هذا العيب عاهة في بدنه، أو ضآلة في مرتبته، فمن السفاهة التشنيع عليه به عيانا أو غيابا. وإن كان ذنبا انزلق إليه وليس من شأنه أن يقارفه، إنما هي كبوة الجواد، فمن الدناءة أن نفضح ملأه، وأن نشهر بين الناس به. وإن كان العيب الذي وجدناه جراة مستهتر أو معصية مجاهر، فهذا الذي يجب أن يقابل بكلمة الحق. تقرع أذنيه دون مبالاة. ولكي ما تكون هذه الكلمة خالصة ينبغي أن تبتعد عن مشاعر الشماتة وحب الأذى. وأن تقترن بالرغبة المجردة في تغيير القبيح، وإصلاح الفرد والجماعة. وليس من هذا البتة أن تذكر العاصي بشر عند أعدائه لتقترب من قلوبهم، أو لتطعم من موائدهم، أو لتتظاهر بالبراءة من الخصال التي ذممتها فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يُطعمه مثلها من جهنم، ومن كسى ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم ومن قام برجل مسلم مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة». إن الغيبة شيمة الضعاف «وكل اغتياب جهد من لا جهد له».

والإسلام يكره أولئك الذين يعيشون في الدنيا أنذالا، تغلب عليهم طبائع الزلفى والتهافت على خيرات الآخرين، ويحبون أن يكونوا في هذه الحياة كالثعالب التي تقتات من فضلات الأسود.

إن المسلم أكبر من أن يربط كيانه بغيره على هذا النحو الوضيع، بل يجب أن ينأى عن مواطن الهوان، وأن يضرب في فجاج الأرض يبتغي العزة والكرامة. وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الجنة وخلالهم، وأصحاب النار وخلالهم. فعد فضائل القوة والكرامة والنبل في الأولين وقرن رذائل الهوان والاختلاس والعجز والتلاعب بالآخرين قال: «...أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم. وعفيف متعفف ذو عيال. وأهل النار: الخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه. ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك. وذكر البخل والكذب، والشنطير الفحاش، وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد». على أن هناك أمورا قد تعرض للمسلم فينوء بها، وربما يهون في نفسه ما دامت مصاحبة له: فالتعاسة النفسية والهوان الاجتماعي قد يضغطان على الإنسان ضغطا يُقعده، ويجعله سيئ التفكير، كثير التشاؤم، قليل الإنتاج، وواجب المسلم أن يبذل كل جهد للتملص من هذه القيود الكئيبة، والخروج من مأزقها القابضة. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بربه من هذه المصائب الهدامة «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك: من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال». والصبر والرجاء، هما عدة اليوم والغد، ويتحمل المرء في ظلهما المصائب القادحة فلا يذل، بل يظل محصنا من نواحيه كلها، عاليا على الأحداث والفتن لأنه مؤمن والمؤمن لا يضرع إلا إلى الله».

التعاسة النفسية والهوان الاجتماعي قد يجعلان الإنسان كثير التشاؤم قليل الإنتاج.. وواجبنا بذل كل جهد للتخلص من قيودهما

المسلم يجب أن ينكر بقوة عيوب المجتمع دون تهيب لكبير أو استحياء من قريب ولا تأخذه في الله لومة لائم

النبي أعلن لقادة الشرك أنه لا تنازل ولو كان يسيراً عن مبادئ الدعوة

التفاوض والإغراء أثبتا فشلهما في الحرب على الإسلام

الوفود والمفاوضات التي ذهبت للتفاوض مع النبي (صلى الله عليه وسلم) تبين مدى الفشل الذي أصاب زعماء قريش في عدم حصولهم على التنازل الكلي عن الإسلام، الأمر الذي جعلها تلجأ إلى طلب الحصول على شيء من التنازل، ويلاحظ أن التنازل الذي طلبوه في المرة الأولى، أكبر مما طلبوه في المرة الثانية، وهذا يدل على تدرجهم في التنازل من الأكبر إلى الأصغر، عليهم يجدون آذانا صاغية لدى قائد الدعوة، كما أنهم كانوا يغيرون الأشخاص المتفاوضين، فالذين تفاوضوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في المرة الأولى غير الذين تفاوضوا معه في المرة الثانية، ما خلا الوليد بن المغيرة وذلك حتى لا تتكرر الوجوه، وفي ذات الوقت تنويع الكفاءات، والعقول المفاوضة، فربما أثر ذلك في نظرهم بعض الشيء. وفي هذا درس للدعاة إلى يوم القيامة: بأنه لا تنازل عن الإسلام ولو كان هذا التنازل شيئًا يسيرًا، فالإسلام دعوة ربانية ولا مجال فيها للمساومة اطلاقًا، مهما كانت الأسباب والدوافع، والمبررات «وعلى الدعاة اليوم الحذر من مثل هذه العروض، والإغراءات المادية، التي قد لا تعرض بطريق مباشر، فقد تأخذ شكلاً غير مباشر، في شكل وظائف عليا، أو عقود عمل مجزية، أو صفقات تجارية مربحة، وهذا ما تخطط له المؤسسات العالمية المشبوهة لصرف الدعاة عن دعوتهم وبخاصة القياديين منهم، وهناك تعاون تام في تبادل المعلومات بين هذه المؤسسات التي تعمل من مواقع متعددة لتدمير العالم الاسلامي» ولقد جاء في التقرير الذي قدمه ريتشارد ب. ميشيل أحد كبار العاملين في مجال الشرق الأوسط، لرصد الصحوة الإسلامية، وتقديم النصح بكيفية ضربها، جاء في هذا التقرير: وضع تصور لخطة جديدة يمكن من خلالها تصفية الحركات الإسلامية، فكان من بين فقرات هذا التقرير فقرة خاصة بإغراء قيادات الدعوة، فاقترح لتحقيق ذلك الإغراء ما يلي:

أ- تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الإسلامية فارغة المضمون، وغيرها من الأعمال التي تستنفد جهدهم، وذلك مع الاغداق عليهم أدبيًا وماديًا، وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محليًا، وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

ب - العمل على جذب ذوي الميول التجارية والاقتصادية، الى المساهمة في المشروعات ذات الأهداف المشبوهة، التي تقام في المنطقة العربية لمصالح أعدائها.

ج - العمل على ايجاد فرص عمل، وعقود مجزية في البلاد العربية الغنية، الأمر الذي يؤدي الى بُعدهم عن النشاط الاسلامي.

فالمتدبر في النقاط الثلاث السابقة، يلاحظ أنها اغراءات مادية غير مباشرة، وبنظرة فاحصة للعالم الاسلامي اليوم، نلاحظ أن هذه النقاط تنفذ بكل هدوء، فقد أشغلت المناصب العليا بعض الدعاة، واستهلكت بعض الدول العربية الغنية جمًا غفيرًا من الدعاة، والهت التجارة بعضهم.

أسلوب المجادلة ومحاولة التعجيز

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أقام الحجج والبراهين والأدلة على صحة دعوته، وكان صلى الله عليه وسلم يتقن اختيار الأوقات، وانتهاز الفرص والمناسبات، ويقوى على الرد على الشبهات مهما كان نوعها، وقد استخدم في مجادلته مع الكفار أساليب كثيرة، استنبطها من كتاب الله تعالى في اقامة الحجة العقلية، واستخدام الأقيسة المنطقية، واستحضار التفكير والتأمل، ومن الأساليب التي استخدمها صلى الله عليه وسلم مع كفار مكة:

1 - أسلوب المقارنة

وذلك بعرض أمرين: أحدهما هو الخير المطلوب الترغيب فيه، والآخر هو الشر المطلوب الترهيب منه، وذلك باستثارة العقل، للتفكر في كلا الأمرين، وعاقبتهما الوصول -بعد المقارنة- الى تفضيل الخير واتباعه:

قال تعالى: «أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأنعام: 122].

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتًا أي: في الضلالة هالكًا حائرًا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان وهداه له ووفقه لاتباع رسله».

2 - أسلوب التقرير

وهو أسلوب يؤول بالمرء بعد المحاكمة العقلية، الى الاقرار بالمطلوب، الذي هو مضمون الدعوة، قال تعالى: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ» [الطور: 35-45].

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا المقام في اثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» أي أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا».

وهذه الآية في غاية القوة من حيث الحجة العقلية؛ لأن «وجودهم هكذا من غير شيء أمر ينكره منطق الفطرة ابتداء، ولا يحتاج الى جدال كثير أو قليل، أما أن يكونوا الخالقين لأنفسهم فأمر لم يدعوه، ولا يدعيه مخلوق، واذا كان هذان الفرضان لا يقومان بحكم منطق الفطرة، فانه لا يبقى سوى الحقيقة التي يقولها القرآن. وهي أنهم من خلق الله جميعا من خلق الله الواحد الذي لا يشاركه أحد» والتعبير بالفطرة مضمون الأمر المقرر بداهة في العقل.